

الفصل الثالث

الاحتياطي الفيدرالي "آلة طبع النقود"

من يخالف دستور أمريكا بفضاظة ولماذا؟

الحكم - يعني رؤية الأمور قبل حدوثها
الإمبراطورة كاترين الثانية

رؤية الأمور قبل حدوثها- يعني التحكم بها
باسكال

من الصعب جداً أن نناقش أسباب تعطل جهاز منزلي كالتلفاز أو الثلاجة أو سواهما دون أن يكون لدينا أية معرفة ببنيته وطريقة عمله. الأمر ذاته في موضوع الأزمة المالية لا معنى لمحاولاتنا الغوص إلى أسبابها إذا لم يكن لدينا معرفة وفهم ماهية التكوين المالي المعاصر لعالمنا.

السؤال الأول الذي يحسن بنا أن نطرحه: ما هي النقود؟ في الزمن الغابر عند فجر الحضارة كانت الطريقة الأسهل هي تنظيم التبادل بين المقاطعات والدول والقارات. تطلبت العملية مقياساً موحداً للقيمة، وجدولاً موحداً للثمن، وتوجب على هذا المقياس أن يكون صغير الحجم لا يتأثر بالعوامل الخارجية. كانت مقاييس الثمن الأولى على شكل رؤوس الماشية، جلود الحيوانات أو الأملاح. وقد أخلت موقعها بسرعة للنقود، المصنوعة من مواد أكثر متانة. كانت الأشكال كثيرة. ففي بعض جزر المحيط الهادي كانت تستخدم نقود حجرية لا يسهل نقلها من مكان لآخر. ولذلك لم تجد هذه المنظومة انتشاراً واسعاً. في النهاية أصبح المعدن

وليس الحجر مادة لإنتاج النقود التي أصبحت بالفعل مكافئاً عاماً لكل شيء. لا نعلم على وجه التأكيد متى ظهرت النقود المعدنية، اتفق على أن نقود معدنية ظهرت في الصين والهند في القرن السابع قبل الميلاد. بعد ذلك بمئتي عام أنجز ملك فارس داريوس ثورة اقتصادية في دولته إذ أدخل إلى التداول النقود المعدنية بدلاً من الـ "البارتير" الذي كان متداولاً قبل ذلك. لقد أعطى هذا دفعة قوية لتطور البلد وأصبح (إلى جانب الانتصارات الحربية) أحد الأسباب الأساسية في توسع الإمبراطورية الفارسية.

لاحقاً خضعت منظومة النقد لجملة تغيرات مدهشة على امتداد تاريخ النقود. لفترة طويلة جداً لم يكن هناك توحيد في اختيار المعدن. وارتبط ذلك بالخامات المتوفرة بكثرة في منطقة معينة. في إسبارطة، حسب أرسطو، كانت في التداول نقود حديدية. وتوجد دلائل على وجود النقود المسكوكة من الرصاص والقصدير. مع مرور الزمن حلت ثلاثة معادن محل المعادن المذكورة آنفاً. النقود الأبسط والصغيرة القيمة صنعت من النحاس وصنعت النقود الأساسية الأكثر استعمالاً من الفضة. أما الذهب فقد استخدم لسك أغلى النقود. لم يستعمل النقش على النقود فوراً، ففي البداية تكرست ممارسة وضع إشارة محضرة في السبيكة تعطي ضماناً الوزن والعيار. إذ يصعب أن تنتقل والميزان معك دائماً. أخذت السلطة على عاتقها مهمة الضمان وهي أيضاً أصبحت تصدر (تسك) النقود. وباعتبار أن الدول كانت كثيرة والنقود المختلفة الأوزان والنقاء أكثر. فقد ظهر في العالم القديم أوائل الصرافين (الماليين) والذين اضطلعوا بمسألة تبادل النقود (الصرافة).

بقيت المنظومة المالية العالمية بشكلها النحاسي والفضي والذهبي حتى بداية القرن العشرين. على الرغم من وجود الفكة النحاسية حتى الآن. اتفق على اعتبار أن المنظومة كانت ثنائية المعدن لدى تحليل تاريخ النقود، أي أنه إلى جانب الذهب لعبت الفضة فقط دور المادة المكافئة⁽¹⁾. ولكن حتى بداية القرن العشرين أخذت الدول واحدة تلو أخرى تنتقل إلى نظام المعدن الواحد الذي نعيشه اليوم، فأصبح

¹ لم يعد النحاس يعتبر مادة مكافئة نظراً لضعف القيمة الشرائية للنقود النحاسية.

الذهب وحده مكافئاً شاملاً، وأصبحت عملة الدولة ذهبية، وحدث ذلك في ألمانيا عام 1871، في هولندا 1877، في أستراليا 1892، في اليابان 1897، في روسيا 1898، في أمريكا (1) 1900.

وتكمن الخصوصية الأساسية لإصدار النقود المعدنية في أنه توجب على الدولة أن تملك المعدن الثمين حتى تتمكن أن تصدر نقدها. كل الدول كانت مضطرة أن تعيش "وفق أموالها" محافظة على هذه القاعدة إجبارياً. عدا عن ذلك نتيجة الكوارث المختلفة اختفت المعادن الثمينة في النقود، أمحت، ضاعت، غرقت. ولتعويض هذه الخسائر كان لا بد من العمل المضني الطويل في مناجم الفضة والبحث عن الذهب. عانت الدول في القرون الوسطى من تعقيدات تطوير الإنتاج الصناعي والتجاري لسبب تافه هو عدم توفر النقود المعدنية المسكوكة، لم يستخرج من الذهب والفضة ما يكفي لتأمين الأموال التي يحتاجها تطوير الاقتصاد. من هنا كان التطور الكبير للكيمياء، في محاولات الحصول على الذهب من معادن أخرى عن طريق التفاعلات والسحر، وجاء الإنقاذ باستيلاء إسبانيا على أراض جديدة وراء البحار. وتدفق ذهب الإنكا والأزتيك بوفرة إلى أوروبا مما أمن عصر النهضة والنمو الصناعي. في أعقاب نبلاء الإسبان اندفع البرتغاليون والفرنسيون والإنكليز والهولنديون للسرقة، أي لاستثمار الأرض المكتشفة.

المرحلة التالية في التاريخ العالمي للنقود أصبح ظهور الشكل الورقي. بخلاف الرأي السائد لم يكن إصدار العملة الورقية بداية شراً. في البداية لم يكن من الممكن إطلاقاً الحديث عن إصدار نقود غير معدنية بدون الدعم الذهبي. ظهرت النقود الورقية الأولى منذ زمن طويل جداً في القرنين السابع والثامن على وجه التقريب في الصين. كتب باركو بولو الذي سافر إلى هناك بنقذ لاذع. عندما كان الكيميائيون الأوروبيون يحاولون الحصول على الذهب من مختلف المعادن تعلم أباطرة الصين تحويل الورق العادي إلى الذهب وفعلاً فقد انتشرت النقود الورقية في الصين في القرن الثامن على نطاق واسع، وكان لها شكل صفيحة ذات أربع زوايا

¹ أول من قام بذلك الإنكليز منذ نهاية القرن الثامن عشر.

مزودة بعلامات وأختام خاصة ، وكانت مصنوعة بذوقية عالية. تمتعت هذه البطاقات بقدرة شرائية مختلفة وكانت مُعتمَدة إجبارياً تحت طائلة الإعدام. إلى جانب العصا كانت الجزرة - أي مالك لهذه الأوراق يمكنه أن يستبدلها بالذهب في أية لحظة.

ظهرت النقود الورقية في روسيا بعد خمسة قرون من زيارة ماركو بولو للصين. في عام 1768 قدم الكونت سيفيرس لكاترين الثانية تقريراً برهن فيه على جدوى اعتمادها في روسيا. هذه الجدوى كانت واضحة للعيان، وفي العام التالي 1769 تم إصدار النقود الورقية الأولى. لكي تتمتع هذه النقود بالثقة لا يكفي أن تقبل في مدفوعات الخزينة في كل مكان. بل كما في الصين كان تأمين المكافئ المعدني "المكوّن" شرطاً رئيساً لنجاح العملة. ومن أجل ذلك تأسس بنك خاص تُدخر فيه نقود نحاسية ، تساوي تماماً الأوراق النقدية الصادرة. نقود النموذج الأول في روسيا أصدرت على أربع فئات: الفئات الثلاث المألوفة لدينا 100 ، 50 ، 25 وفئة رابعة غريبة 75 روبلاً. وقد سحبت الأخيرة من السوق بسرعة لأنه من السهل تزوير 25 إلى 75. كل الأوراق النقدية كانت من لون واحد مما جعل التزوير سهلاً. ولم تصدر فئة 75 في روسيا أبداً بعد ذلك بسبب التجربة المحزنة مع التزوير.

في بداية القرن العشرين أصبحت كل العملات العالمية الأساسية، التي أصبحت ورقية منذ زمن طويل مدعومة بمضمون ذهبي. هذا يعني أن احتياطي الذهب للدولة يساوي كمية النقد التي تصدره خزنتها، وأي مالك لبطاقة الائتمان الورقية يمكنه في أي وقت استبدالها بكمية محددة من المعدن الأصفر. ولماذا يلزم الذهب في الحياة اليومية؟ فإمكانية الحصول عليه حال الضرورة تكفي تماماً. وقد أخذت الدولة على عاتقها ضمان ذلك وكان الدولار الأمريكي وكذلك الروبل الروسي "ذهبيين" تماماً.

في الاقتصاد العالمي المبني على مبادئ رأسمالية تمت المحافظة بشدة على مبدأ اشتراكي تماماً - الكل كان يعيش حسب ما كان يعمل. لم يكن لدى الدول دخل لا ينجم عن عمل، أي لم يكن لديها نقود غير مدعومة بالذهب. واستمر الحال على هذا المنوال حتى 1913، إلى أن قام الأمريكيون باكتشاف جديد وعصري

بكل معنى الكلمة. والأصح، كان أصحاب البنوك يعرفون بذلك منذ زمن بعيد. إذا توفرت إمكانية إصدار نقود ورقية دون التقيد بشرط تأمينها بالذهب، قد تصبح الثروة بدون حدود. والثراء الفاحش يسير على الدوام يداً بيد مع السلطة المطلقة. لكي تصبح ثرياً لا بد لك من السلطة، ولا بد من النقود للاستيلاء على السلطة والحفاظ عليها. للحصول على الثروة العالمية لا بد من سلطة عالمية. للمحافظة على السلطة على العالم لا بد من منبع نقود لا ينضب.

إنها لفكرة يسيل لها اللعاب. ولكن يجب أن يبدؤوا من شيء ما. لذلك تطلب الأمر أن يسيطروا على عملية إصدار النقود، في دولة عالمية كبرى. الشرط الثاني للنجاح هو إبعاد الدول الأخرى القادرة على الاعتراض على حق دولة واحدة بإصدار نقد غير مدعوم. إبعادها عن الخريطة السياسية. قارنوا بين هذين التاريخين:

1. في كانون الأول 1913 أنشئ في أمريكا نظام الاحتياطي الفيدرالي - أول طباعة نقود خاصة في تاريخ الإنسانية حصلت على حق إصدار النقد.
2. في آب 1914 بدأت الحرب العالمية الأولى.

كنتيجة للحرب العالمية أصبح زوال أربعة إمبراطوريات كبرى، ووقعت كل من بريطانيا وفرنسا في وضع اقتصادي معقد، أما الاقتصاد العالمي فكان يعاني من أزمة لم يكن لها مثيل في ما مضى أبداً.

هل هذا تطابق مصادف؟ كلا ليس صدفة.

لقد كانت عملية إنشاء الاحتياطي الفيدرالي في أمريكا مثيرة جداً للاهتمام وتستحق النظر بتفاصيلها. في الدول الشمولية كانت عملية سك النقود تقع على عاتق خزانة الدولة، التي كانت تسمى بتسميات مختلفة ولكنها كانت على الدوام خاضعة للدولة. في أمريكا الديمقراطية الدستور هو القانون الأساسي. لنفتح الدستور ونقرأ: "المجلس الشيوخ الحق <....> سك النقود، تعديل قيمته وقيمة النقد الأجنبي"⁽¹⁾. كل شيء في مكانه، السلطة في جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية تعود للشعب. الكونغرس (مجلس الشيوخ) - ممثلو الشعب. وهم من يملك صلاحية

¹ الباب 1. الفصل 8. الفقرة 5.

سك النقود. هكذا كان حتى كانون الأول 1913، حيث أقرّ من انتخابهم الشعب مرسوم العصر عن الاحتياطي الفيدرالي⁽¹⁾.

منذ ذلك الحين دكان خاص هو الذي يسك النقود، كلمة "فيدرالي" في تسمية هذه الدائرة لا يجب أن تزعجنا. هي تمويه اعتيادي وليس فيها شيء من "الفيدرالية". أكثر من خدمة البريد الخاصة "فيدرال اكسبريس". خذ بيدك دولاراً. ودقق في الأعلى مباشرة كتب "Federal Reserve Note" وهذا يعني "بنكوت الاحتياطي الفيدرالي". هل تدرك؟

بين يديك دولار نظام الاحتياطي الفيدرالي. وليس دولار الولايات المتحدة.

فكتابة "The United States of America" لها مفهوم جغرافي فحسب، وتشير إلى مكان وجود المؤسسة التي أصدرت البنكوت. هذه الكتابة لا تعني أنك تمسك بيدك نقود الولايات المتحدة الأمريكية. أكثر من ذلك. قبل إنشاء نظام الاحتياطي الفيدرالي كان مكتوباً على البنكوت أنه بنكوت الولايات المتحدة الأمريكية. باللغة الإنكليزية "United States Note" وقد صدرت مثل هذه الدولارات لأول مرة إبان الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865). في تلك الفترة بالذات ظهرت التسميات الشعبية المعروفة للعملة الأمريكية "جرين". "باكس" و"الأخضر". كما هو معلوم كان الدولار أخضر اللون. وكانت الجهة الخلفية أشد خضرة، حيث لم يكتب هناك شيء باللون الأسود. ولم تكن عليه صورة مسؤول الدولة. أصبحت الدولارات الورقية تسمى "Greenbacks" وترجمتها تعني "أخضر القفا".

ما هو الاحتياطي الأمريكي؟ - هو بنك خاص تملكه بنوك خاصة أخرى، وهو الذي يصدر الأوراق النقدية التي تسمى حسب العادة القديمة بالدولارات الأمريكية. كانت كتابة "United States Note" على العملة الأمريكية، ثم اختفت. ولكن بما أن الـ "باكس" نفسه ظل أخضراً كما كان فلم ينتبه أحد إلى الفرق. في هذه الأيام نمسك بيدنا الورقة الخضراء ذات الزرکشات الخاصة، ولا نشك بأنها لا تملك أية صلة بالولايات المتحدة الأمريكية.

¹ <http://www.federaleserve.gov/pubs/frseries/frseri.htm>.

هذا يعني أنه منذ عام 1913 يداس على الدستور الأمريكي بفضاظة، والذي ينص صراحة على أن "الكونغرس يملك حق <...> سك النقود" فقط. لكي نفهم عبثية هذه الحالة نسقطها على الحالة الروسية. وفق الفصل 8 من دستورنا "رئيس الاتحاد الروسي هو رئيس الدولة". ووفق الفصل 87 هو "القائد الأعلى للقوات المسلحة للاتحاد الروسي". والآن تصوروا أن رئيسنا وقّع مرسوماً بتعيين السيد فلان قائداً عاماً للجيش، من حيث الشكل الوضع قانوني: رئيس الدولة وقّع مرسوماً وأصبح ساري المفعول، ولكن في الحقيقة - هذه مخالفة فظة للقانون الأساسي، الذي ينص صراحة من هو القائد العام لقواتنا المسلحة. حالة مشابهة لهذه تماماً تكررست دون أن يلاحظها المحيطون، مع نظام الاحتياطي الفيدرالي. لقد حصل الكونغرس على سلطته من الشعب الأمريكي، ليستخدم هذه الصلاحيات لمصلحة الشعب فقط. كما هو الحال عند رئيسنا لا يملك الكونغرس الأمريكي الحق بأن يخول تلقائياً ويقرر منه بالقيام بهامه أو بجزء منها. إلا أنه فعل ذلك.

في مراجع الاستعلامات يقرأ شرح مختلف عن حقيقة الاحتياطي الفيدرالي: "مؤسسة مالية مستقلة، أنشئت للقيام بوظيفة البنك المركزي وتنفيذ الرقابة المركزية على المنظومة البنكية التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية". إذا فكرنا ملياً نجد أنه حتى في هذا النص الجاف كتبت الحقيقة. إلا أن أحداً لا يفكر فيما يقرؤه. يتقون بالكلمة، اعتادوا ذلك. ولكن هنا نناقش: مستقلة، أي أنها ليست حكومية - البنية التي تنفذ الرقابة على النظام المالي الأمريكي.

يتكون هذا النظام المالي من بنوك تجارية، لا يوجد في أمريكا بنوك حكومية. يعني أن الاحتياطي الفيدرالي يشرف على نشاط البنوك التجارية. أسس الاحتياطي الفيدرالي 12 بنكاً فيدرالياً احتياطياً. وهي كلها بنوك خاصة، بنوك تجارية عادية تجمعت وفق معيار التجاور الجغرافي. يشرف الاحتياطي الفيدرالي على عمل البنوك التجارية وهو مكون منها ذاتها؟! أي أن النظام الاحتياطي الفيدرالي يشرف على نفسه بنفسه.

للتأكد من عدم وقوعنا في خطأ ما. ننظر في دليل الهاتف الأمريكي "الصفحات الصفراء". هناك نجد إحدائيات الاحتياطي الفيدرالي، وإحدائيات

البنوك الفيدرالية الاحتياطية المكونة له مطبوعة على الصفحات البيضاء المخصصة للشركات الخاصة وليس على الصفحات الزرقاء السماوية حيث أرقام هواتف المؤسسات الحكومية. إلى جانبه شركة البريد "فيديرال اكسبريس". ولكن لا أحد من الأمريكيين يعير اهتماماً لذلك، لا أحد يتصل بالاحتياطي الفيدرالي. ولا أحد يذهب إلى هناك على العناوين المذكورة في الدليل. حتى أبناء وطننا لا يلاحظون هذه الخدعة الكونية ففي أخبار وكالات الأنباء يشار إلى وزير المالية الأمريكي سويماً مع رئيس الاحتياطي الفيدرالي ويتكلمان معاً حول أهم الموضوعات.

هذا اليوم رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي بين بيرنانكي، ووزير مالية الدولة هنري بولسون يقدمان تقريراً في لجنة المال في الكونغرس الأمريكي- تذييع محطة "روسفينكوم". "... الخطاب المتزامن لرئيس الاحتياطي الفيدرالي بين بيرنانكي في لجنة السياسة الاقتصادية ووزير المالية الأمريكي هنري بولسون في الصين أشاعت جواً متفائلاً جداً بخصوص الدولار".

عندما يشاهد المواطن البسيط التلفاز أو يقرأ جريدة أو يغوص في الإنترنت يستحيل اكتشاف الخديعة. الأمور سليمة ونبيلة. ويتكون وهم تام الأركان أن هذين مسؤولان حكوميان متساويان.

ولا تنتهي المفاجأة هنا. لا يكفي أن نظام الاحتياطي الفيدرالي ليس "فيدرالياً" بتاتاً ولكنه أيضاً ليس "احتياطياً". ليس لدى هذا النظام أية احتياطات. لا ذهبية ولا فضية ولا عملة صعبة. لا شيء - مكاتب، سكرتيرات وكمبيوترات فقط. ولكن لدى النظام أهم شيء - حق احتكار إصدار الدولار. إذا كانت لديك آلة طباعة النقود فلا تلزمك أية نفائس حقاً. يمكنك طباعة النقود والحصول مقابلها على كل ما يلزم. يمتلك نظام الاحتياطي الأمريكي هذه الآلة الطباعة وهو ذاته يقوم بمهمة الإشراف. هو النائب العام وهو القاضي وهو المحامي أيضاً. أليس هذا مريحاً. ينتج أن بنية غير حكومية تقوم بالإشراف على النظام المالي في أمريكا، وهي الدولة التي تلعب دوراً مهيمناً في العالم. أي أن نظام الاحتياطي الفيدرالي يسيطر في الواقع على حياة الكوكب المالية وليس فقط في أمريكا.

ولكن هل يعقل أن نظام الاحتياطي الفيدرالي مفصول تماماً عن الدولة؟ نعم، مثل الكنيسة في روسيا السوفيتية. إذا أخذت الكتاب الذي ألفه رئيس النظام الاحتياطي الفيدرالي آلان غرينسبين فتقرأ فيه ما يليق "النظام الاحتياطي الفيدرالي لا يرتبط شكلياً بالبيت الأبيض"⁽¹⁾.

لكن السر يكمن في أن النظام الاحتياطي الفيدرالي لا يخضع للسلطات الأمريكية لا شكلياً ولا غير شكلي. ولكن يحافظ بدقة على مظهر اللياقة. وليس صعباً أن نتأكد من ذلك. يكفي أن نرى كيف يتم تعيين مديري النظام الاحتياطي الفيدرالي. في الظاهر كل شيء يجري بهتذيب ولياقة. يعين مجلس المدراء من سبعة أعضاء من قبل رئيس الولايات المتحدة بموافقة الكونغرس. يبدو أن الدولة موجودة في هذه العملية. وهنا تكمن القضية لأنه "يبدو". يتبين أن الرئيس رغم أنه يصادق على تعيين أعضاء مجلس المدراء السبعة، لكنه لا يملك الحق في إصدار أي أمر إلى النظام الاحتياطي الفيدرالي أو إقالة هؤلاء الأعضاء السبعة. فالاحتياطي الفيدرالي مستقل بالقانون.

منذ فترة وجيزة، بعد نجاح باراك أوباما في الانتخابات صادف أن استمعت إلى مقدمي البرامج الصباحية في المحطة الليبرالية الرئيسة في بلدنا. عندما ناقشوا أموراً جدية أظهر هؤلاء الشباب مستوى متديناً من المعرفة كتلميذ الصف الأول ومستوى من الفهم أقل من ذلك. وبالمقابل كان لديهم فائضاً هائلاً من المظهر المترف والخيلاء وأكثر ما يحزن ذلك الفائض من الكره لبلدهم. فعندما ناقشوا قضية استبدال فريق عمل البيت الأبيض تحدثوا بجدية عن إمكانية أن يستبدل الرئيس الجديد رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي. وتوصلوا لنتيجة مفادها أن الرئيس الناجح في الانتخابات باراك أوباما لن يستبدل رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي أي بين بيرنانكي. إذ لا تستبدل الأحصنة أثناء الأزمة... ولكن منطلق النظام السياسي المعتمد في أمريكا يجب أن يقود، من حيث المبدأ، إلى العكس. فالانتخابات تجري مرة كل أربع سنوات بصرف النظر عن المشكلات الاقتصادية. فإذا كان غير

¹ غرينسبين. آ عصر الاضطرابات موسكو. البينا بيزنيس بوكس، 2007، ص 90.

جائز استبدال المسؤولين في ذروة الأزمة المالية، أي من أجل الأزمة ذاتها، فلماذا يجرون هذه الانتخابات؟ حسب منطق صحفيينا المصيبة. يجب أن تؤجل الانتخابات ويتاح لجورج بوش أن يصلح الأحوال في الاقتصاد. من الواضح أن الأمور لا تجري على هذا المنوال. فطالما ينص الدستور مرة في أربع سنوات، الرابع من تشرين الثاني، يعني أن هذا ما سوف يحصل.

تجري الانتخابات، يأتي رئيس جديد يستبدل كل فريق إدارة الدولة. يستبدل ليس فقط نائب الرئيس ومستشار الأمن القومي. يستبدل حوالي خمسة آلاف شخص يقومون على الخدمة في الدولة، يأتي أشخاص جدد ليس فقط في الأدوار الأولى بل والثانية والعاشر. فقط رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي- لا يستبدل.

لماذا؟ لأن رئيس الولايات المتحدة لا يستطيع تعيينه كما لا يستطيع صرفه من الخدمة أي أن الرئيس يوقع شكلياً على تعيين رئيس الاحتياطي إلا أن القرار في الواقع، يتخذ في مكان آخر. لا يعرف صحفيونا ذلك. ولذلك يضعون تحليلات لا تلزم. وإلا فالأمر عبثي: جاء فريق الحزب الديمقراطي إلى كل المناصب، أما المنصب الاقتصادي المفتاحي يشغله ذات الشخص الذي خدم بالأمس القريب الجمهوريين بكل إخلاص. وباراك أوباما يعارض بالذات هذا الخط السياسي. وبفضل ذلك حصل على أصوات الناخبين.

لا يصعب التأكد من صحة هذه الكلمات. يكفي أن ننظر إلى مكانة الرئيس السابق للاحتياطي الفيدرالي آلان غرينسبين. كان هذا السيد المحترم على رأس الاحتياطي الفيدرالي طيلة تسعة عشر عاماً: منذ 1987 وحتى 2006 اختاره لهذا المنصب أعضاء مجلس إدارة الاحتياطي الفيدرالي، الذين يعينهم الرئيس... لمدة أربعة عشر عاماً. كيف يستطيع الرئيس الذي ينتخب لأربعة سنين أن يسيطر على من انتخب لمدة أربع عشرة سنة "في الواقع - يكتب عن ذلك آلان غرينسبين ذاته - منصبهم لا يختلف كثيراً عن المنصب الذي يبقى مدى الحياة".

بنية النظام شديدة التعقيد، وقد وضعت كذلك عن قصد لكي لا يبحث الإنسان العادي في تفاصيلها. الأشخاص الذين ينتخبون رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي يعينون لمدة 14 سنة. أما رأس النظام فينتخب لمدة 4 سنوات مثلما هو حال

الرئيس الأمريكي. يبدو المنطق مفهوماً: عندما يذهب الرئيس يذهب معه كل فريقه بمن فيهم رئيس الاحتياطي الفيدرالي. ولكن عملياً الأمر مختلف. ترأس آلان غرينسبين دون أن يستبدل نظام الاحتياطي الفيدرالي 19 سنة.

قد يخطر لنا أن سبب عدم استبداله هو عدم تبدل الحزب الحاكم؟ كلا، لقد تغير الحزب الحاكم وظل آلان غرينسبين رئيساً للاحتياطي الفيدرالي:

- لدى الرئيس الجمهوري رونالد ريغان.

- لدى الرئيس الجمهوري جورج بوش الأب.

- لدى الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون.

- لدى الرئيس الجمهوري جورج بوش الابن.

كل رئيس جديد كان يعينه ثانية في المنصب المالي الأرفع في أمريكا. واستمر ذلك إلى أن ذهب غرينسبين نفسه إلى التقاعد... هل لأنه شخصية متميزة؟ أيضاً لا. فقد شاهدنا ذلك في مرحلة مبكرة: في عام 1979⁽¹⁾ الرئيس الديمقراطي جيمي كارتر عين في هذا المنصب بول فولكر. "تبين لاحقاً أن كارتر لم يكن يعرف فولكر البتة. وقد رشحه لهذا المنصب دافيد روكفلر والمصرفي من وول ستريت روبرت روسا، اللذان أقتعا الرئيس أن فولكر بالذات قادر على تجاوز موجة القلق في عالم المال".

بلطف بالغ يجري جيمي كارتر التبديلات في حكومته. وبناء على "نصيحة الأصدقاء" يعين في منصب مفتاحي شخصاً لا يعرفه مطلقاً. وها قد أصبح رونالد ريغان الجمهوري رئيساً. يخرج فريق كارتر بكامله ما عدا بول فولكر الذي يستمر في عمله. قد يكون غير منتم لحزب وهذا ما يسمح له بالبقاء عند تغير الحزب الحاكم؟ كلا، فولكر - عضو في الحزب الديمقراطي. لكن الجمهوري رونالد ريغان لا يبدله. بل بالعكس يعين بول فولكر من جديد على رأس النظام الاحتياطي الفيدرالي في 1983 عندما انتهت مدة السنوات الأربع من لحظة تعيين كارتر له، ويستمر بول فولكر في رئاسة النظام حتى عام 1987 إلى أن جاء إلى هذا المنصب الفائق الأهمية آلان غرينسبين.

¹ كارتر عين فولكر في منتصف ولايته (التي دامت من 1977 حتى 1981).

وأطرف ما في هذا كله. أن باراك أوباما اقترح في 26 تشرين الثاني 2008 إنشاء مجلس استشاري للتعايش الاقتصادي. يتألف هذا المجلس الاستشاري للرئيس أوباما من خبراء غير حكوميين. واقترح باراك أوباما تعيين الرئيس السابق لنظام الاحتياطي الفيدرالي بول فولكر رئيساً لهذا المجلس!!!
فهل يمكن توقع تغيرات حاسمة من أوباما.

لا تستطيع حكومة الولايات المتحدة ولا سواها. إلغاء قرارات النظام الاحتياطي الفيدرالي، ولا الخزنة الأمريكية، ولا غيرها من المؤسسات الحكومية. فالنظام الاحتياطي الفيدرالي يصدر الدولارات، والأصح يقرضها لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

يقدم الاحتياطي الفيدرالي النقود للدولة بضمان سندات الدين التي تصدرها الدولة. وبعد ذلك تدفع أمريكا الدين للاحتياطي الفيدرالي مع الفائدة من الضرائب التي تجبها من المواطنين والمؤسسات. فهذه السندات الحكومية المالية تضمن لمالكها نسبة فائدة. حالة طريفة. يعلم الجميع أن أمريكا تصدر سندات مالية. ولا أحد يطرح سؤالاً، لماذا لا تطبع هذه الدولة نقوداً بالمقدار ذاته؟ لاحظ هذه الغرابة حتى مخترع الكهرباء توماس أديسون: "من العيب أن نؤكد أن بإمكان دولتنا إصدار سندات مالية بمقدار 30 مليون دولار ولا يمكنها أن تصدر بنكوتاً بالمقدار ذاته. وفي الحالتين يعتبر التصرف التزاماً بالدفع إلا أن الأول يفيد المرابين، والثاني يساعد الناس".

يستحيل المضاربة بالنقود، ليس لها قيمة اسمية وسعر صرف. أما السندات فيمكن ويجب أن يضارب عليها. فالسندات وغيرها من الأوراق المالية تتغير على الدوام بخلاف قيمة النقد. بسبب ذلك يشبه النظام النقدي الأمريكي والعالمي يشبه بيت المجانين.

الاحتياطي الفيدرالي أكبر دائن للحكومة الأمريكية. لقد بني الكون بحيث "يرقص المدين على مزمар الدائن". هل هذا غريب؟ سوف تكون هذه الغرابة مفهومة إذا أدركتم أن رئيس أمريكا يحكم على الورق فقط. أما السلطة الحقيقية فلا تعود له البتة. لذلك يأتي رئيس الاحتياطي الفيدرالي لأربعة عشر عاماً

أيّاً يكون الحزب الحاكم في واشنطن، ولا يعيقه عن استعمال كامل المدة سوى الأسباب الطبيعية. وتأكدوا إن لم تصدقوا.

متى حدث في تاريخ أمريكا أن عزل الرئيس الأمريكي رئيس الاحتياطي

الفيدرالي؟

إن قصة إنشاء الاحتياطي الفيدرالي أشبه بقصة بوليسية مثيرة. لماذا على الدولة الأمريكية التي أصدرت بنجاح الدولارات على مدى 150 عاماً أن تتخلى عن ذلك؟ كان الدولار دائماً عملة صعبة جيدة. وهنا لا أقصد نوعية طباعته وإخراجه الفني، وإنما قدرته الشرائية. تذكروا روايات مارك توين، وجيك لوندون. فقد كان مبلغ مئة دولار حينها مبلغاً طائلاً. كان الدولار، وكذلك الفرنك والمارك والجنيه الإسترليني عملات متينة وغالية⁽¹⁾. ورغم ذلك عشية الحرب العالمية الأولى كان الدولار الواحد يساوي روبلين قيصريين كاملين. يعني أن واشنطن كانت تعالج بنجاح المهمة كثيرة المصاعب. كان الأمريكيان يتعلمون أثناء مسيرتهم بسرعة. قبل ظهور النقود الأمريكية الخاصة كانوا يستخدمون النقود الإسبانية والإنكليزية والفرنسية. في عام 1785 أقر الكونغرس اعتماد الدولار كوحدة نقدية. في عام 1792 صدر في فيلاديلفيا الدولار المعدني، وفي عام 1793 ظهرت الدولارات الأمريكية الأولى.

لماذا تعطى عملية إصدار العملة لدائرة خاصة؟ اطرحوا هذا السؤال ببساطة.

121 سنة والسلطات الأمريكية تقوم بنجاح بواجباتها المالية وفجأة بساعة واحدة أعطت هذا الحق الفائق الأهمية لآخر، أيّاً يكن. لماذا؟ أيعقل أن الدولة لا تستطيع

¹ كانت النقود غالية ولم تتغير قيمتها على مدى قرون. التضخم كان ضئيلاً. استمر ذلك كما يقول المؤرخون والاقتصاديون حتى بداية الحرب العالمية الأولى، وبعدها سارت الأمور نحو الأسوأ. أصبحت قيمة النقود تنخفض بسرعة كبيرة؛ ولكن ليس بسبب الحرب بل بسبب ظهور الاحتياطي الفيدرالي في عام 1913. فعندما تم إنشاؤه ولكن أيضاً البدء بالحرب العالمية. وقد بدأت الحرب بعد ثمانية أشهر من ولادة الاحتياطي الفيدرالي وقد دمرت في أثنائها كل القوى العالمية التي يمكن لها أن تقاوم إطلاق آلة طباعة النقود في أمريكا بكامل استطاعتها الإمبراطوريات الروسية. الألمانية النمساوية - المجرية وعلى طريقها التركية. جرى ذلك وفق منطق متماسك - في البداية تصنع أداة اكتساب الهيمنة العالمية، وبعدها تحرض العداوات الكامنة بين الخصوم، لمزيد من التفصيل حول تنظيم الأنكلوساكسون للثورة الروسية راجع: ستاريكوف، 1917 لغز "الثورة" الروسية موسكو، بارزا - إكسمو، 2009؛ وحول تنظيم الثورة الألمانية: ستاريكوف. ن من أرغم هتلر على الهجوم على ستالين؟ بيتر، 2008.

بنفسها أن تسك النقود؟ إذا كانت لا تستطيع تنفيذ عمل بسيط كهذا فما الذي تستطيعه هذه الدولة بشكل عام؟

"... تلقينا أوامر أن ننسى اسم شهرتنا وألا نتعدى معاً قبل سفرنا. التزمنا بالحضور في الوقت المحدد إلى محطة السكك الحديدية عند شاطئ غودزون في نيوجرسي، وكذلك أن نصل متفرقين كل شخص لوحده بشكل متخف ما أمكن. عند المحطة يجب أن تنتظرنا سيارة السناتور أولدريتش الخاصة عند العربة الأخيرة في القطار المتوجه نحو الجنوب.

عندما اقتربت من تلك السيارة كانت الستائر مسدلة ويبدو شكل النوافذ من ضوء ضعيف أصفر في الداخل. عندما دخلنا السيارة بدأنا الالتزام بالكف عن ذكر أسماء شهرتنا. ونادى بعضنا بعضاً بالأسم الأول - "بين"، "باول"، "نيلسون" و"إيبي" قررنا أن نتخفى أكثر ولم نستخدم أسماءنا الشخصية"⁽¹⁾.

هذا ليس وصفاً للقاء مجموعة من الجواسيس المتخفين. وليس تقرير كبار أعضاء المافيا. بهذه الكلمات وصف أحد المشاركين في اجتماع سري اتخذ فيه القرار النهائي بإنشاء نظام الاحتياطي الفيدرالي.

حدث في عام 1910 على جزيرة جيكيل الصغيرة في المحيط الهادي. توجه أصحاب البنوك إلى الجزيرة متخفين وفق كل أصول التخفي.

"على مدى أسبوع أو عشرة أيام كنا معزولين تماماً عن العالم الخارجي. لم نستخدم الهاتف ولا التلغراف. كنا مختبئين في جزيرة نائية. هناك كان الكثير من الخدم الملونين، ولكن لم يكونوا يعرفون شيئاً عن كون بين أو باول أو نيلسون ناهيك عن فانديرليب أو ديفيسون أو آندرو. كل هذه الأسماء لا تشي لهم بشيء"⁽²⁾.

تسلل رجال البنوك كاللصوص إلى الجزيرة النائية سراً. مستعملين أسماء مشفرة وموهوا مظهرهم الخارجي. في هذا المؤتمر الذي عقد في إحدى قاعات المؤتمرات في الفندق المعروف اليوم باسم Jekyll Island Club Hotel. تم الاتفاق،

¹ Frank A. Vanderlip, President, First National City Bank From Farm Boy to Financier. New York: Appleton, 1935.

² Frank A. Vanderlip, President, First National City Bank From Farm Boy to Financier. New York: Appleton, 1935.

وحسب أقوال فرانك فانديرليب تمت كتابة تقرير السيناتور أولدريتش أمام الكونغرس⁽¹⁾. هذا الشخص نيلسون أولدريتش هو الذي اقترح إنشاء بنك مركزي خاص في الولايات المتحدة تحت مسمى نظام الاحتياطي الفيدرالي.

إلا أنه لا بد من سبب لكل فعل. كذلك الأمر بالنسبة لتبديل النظام المالي للدولة ولكن السبب هنا - مالي. كانت الحجة التي اخترعها نبيلة جداً. لقد أوضحوا لمجلس الشيوخ ضرورة وجود دائرة تكافح الاضطرابات المالية بحرفية. وبالتالي في البدء توجب خلق هذه الاضطرابات. وقد خلقوها.

لا يصمد أي بنك في العالم أمام حالة يطلب فيها كل المودعين أموالهم دفعة واحدة. وإذا رفض زملاء البنك في المهنة إقراض هذا البنك. وزيادة على ذلك طالبوه بسداد الديون المترتبة عليه لهم فانهايار هذا البنك يكون حتماً. هكذا تم ترتيب الأزمات، على وجه التقريب، التي سميت الفوضى المالية عام 1907. لدى الدراسة المتأنية لهذه الأزمة نرى بوضوح مناظر الحالات المألوفة حتى الإيلام. العلامات الفارقة التي تميز كل الأزمات اللاحقة. كلها متشابهة وكأنها توائم، ولكن ليس لكونها تحدث بسبب المشكلة الاقتصادية ذاتها، بل لكونها تنظم بمنهجية واحدة. اختيار كهدف للتصويب بنك التمويل Knicker Bocker Trust. وكان ثالث لاعب في السوق من حيث حجم الاستثمارات. الشائعات المفاجئة عن مشاكل جدية في البنك دفعت المودعين لاسترداد أموالهم. توجهت إدارة البنك إلى أكبر أصحاب البنوك الذي تولى صدارة الأعمال في تلك الفترة - جون بيربونت (جي بي) مورغان. لكنه رفض المساعدة رغم أنه كان شريكاً في بعض أعمال صاحب البنك الذي حلّت به الكارثة. وقد أشاع خبر رفض مورغان ذعراً وفوضى، بلغت ذروتها في 22 تشرين الأول 1907. منذ فتح البنك وحتى منتصف النهار سحب المودعون حوالي 8 مليون دولار ما يعادل حالياً 50 مليون دولار. في منتصف النهار أغلق بنك Knicker Bocker Trust وأوقف كل عمليات الدفع. واندفع المودعون في مؤسسات مالية أخرى لإنقاذ أموالهم. في 23 تشرين الأول دبّ الذعر إلى Trust Company of

¹ المرجع ذاته.

America. وهو البنك الذي يحتل المرتبة الثانية: لقد دفع خلال يوم واحد 13 مليون دولار من أصل 60 مليون دولار. في 24 تشرين الأول 1907 انتقلت الأزمة إلى بورصة نيويورك. وأخذت البنوك واحداً إثر آخر تغلق وتقلص (في هذا اليوم وحده أفلس 7 بنوك). وتبعها دوائر وشركات الوساطات والسمسرة (في كل البلاد وليس في نيويورك وحدها).

وعندئذٍ ظهر على المسرح جي بي مورغان بصفة المنقذ. هو بالذات من (أنقذ) الاقتصاد الأمريكي. لأنه أحد المنظمين الرئيسيين للأزمة. رفض مورغان تسوية المشاكل في مرحلة بداية ظهورها، وتركها تستشري، وبعد ذلك بادر إلى إزالتها بشكل حاسم. لقد ضح مع بقية أصحاب البنوك 25 مليون دولار في سوق الولايات، مما أدى إلى استقرار الحالة.

من المهم أن نفهم أن أية أزمة مالية- هي فقدان النقود. عندما تأتي النقود- تنتهي الأزمة.

إطفاء الحريق أهون على من أشعله. من يخفي شيئاً في غرفة مظلمة يجده أسرع من أولئك الذين لا يعرفون أين يوجد.

أخذت البنوك تصدر شهادات- "بديلة النقود" لكي تزيد كتلتها النقدية. ضمن مورغان ذاته دفع مستحقات مدينة نيويورك وبذلك أنقذ المدينة من الإفلاس. كانت مكانة جون بيربونت عالية جداً "يعرف الجميع أن كلمته أوثق أية أوراق"⁽¹⁾. لم ينس "منقذ الوطن" جي بي خبزه اليومي. بحجة الإنقاذ من الموت اشترى شركة السكك الحديدية Tennessee Coal, Iron and Railroad (TCI). التي يهدد إفلاسها المرتقب بسقوط كثير من دوائر الوساطة ومالكي أسهمها. وعلى الرغم من أن الرئيس روزفلت⁽²⁾. كان ضد إنشاء الاحتكارات، فقد غض الطرف عن هذا الابتلاع.

انخفضت المؤشرات الاقتصادية نتيجة فوضى عام 1907. هبط سوق الأسهم بمقدار 37%. أفلس ما لا يقل عن 25 بنكاً و17 شركة كبرى؛ انخفضت أسعار

¹ غرينسبين ا. عصر الاضطرابات. موسكو، البينا بيزنس بوكس، 2007، ص 38.

² تيودور روزفلت، وليس فرانكلين وبلانو المعروف في الحرب العالمية الثانية، سوف نتحدث عنه تالياً.

الخامات 21%. وانخفض الإنتاج السنوي 11% وارتفعت البطالة من 2.8 إلى 8%. تكبدت الكثير من البنى الخسائر أما مورغان فخرج من الأزمة بالريح الكبير. لأنه على علم بالانهيار القادم الذي رتبته بنفسه. لقد باع الأسهم بسعر غال ليشترتها لاحقاً بثمن بخس، كما أنه اشترى أسهم شركات أخرى يحتاجها محققاً مع ذلك أرباحاً، ولكن الريح الأكبر بالنسبة له هو ذلك الرأس مال الضخم من ثقة الشعب به فقد أصبح الكل واثقاً أنه فقط بفضل تدخل مورغان لم تتسع مقاييس الأزمة لتصبح شاملة. في حزيران 1908 أخذت المؤشرات الاقتصادية بالصعود في جامعة برينستون حياً "البطل" - المصرفي رئيس الولايات المتحدة الجديد وأثنى عليه وودرو ويلسون: "من الممكن أن نتجنب كل مشاكلنا. إذا أنشأنا مجلساً من ستة - سبعة رجال أمثال جي بي مورغان ليعالجوا مشاكل بلادنا".

وتلا الفعل الكلمة. أنشئت لجنة النقد القومية National Monetary Commrsson للتحقيق في أسباب الأزمة المفاجئة⁽¹⁾. كان من مهامها دراسة وضع الأعمال في النظام المصرفي وصياغة التوصيات للكونغرس. من البديهي أن اللجنة كانت مشكلة في أغليبتها من أصدقاء ورفاق "المنقذ" مورغان. وترأس اللجنة السيناتور نيلسون أولدريتش⁽²⁾. لا يصعب أن نخمن أن النتيجة الأساسية لعملها أصبح: "نفهم" ضرورة إنشاء بنية يوكل لها تعديل النظام المالي ومنع حدوث الأزمات فيه لاحقاً، بعد ذلك حصل اللقاء السري لأصحاب البنوك في جزيرة جيكيل، حيث اتخذوا القرار بأن الظرف أصبح مؤاتياً لإنشاء الاحتياطي الأمريكي.

لقد صوروا النظام الاحتياطي الفيدرالي على أنه الإكسير الشاي في كل المصائب المالية، المؤسسة الجديرة يجب أن تمارس فقط مراقبة البنوك التجارية كي لا تتمادى في اللعب في البورصة. ولكي تكون الرقابة فعالة يجب أن تكون مؤسسة الرقابة مستقلة.

¹ أنشئت اللجنة بقانون أولدريتش فيلندا. (the Aldrich-Vreeland Act of May 30, 1908).

² لم يجتهد نيلسون أولدريتش دون غرض كانت ابنته زوجة المصرفي جون روكفلر الأصغر. حفيد السيناتور كان يدعى نيلسون أولدريتش روكفلر. الذي أصبح لاحقاً نائب رئيس الولايات المتحدة في عهد جيرالد فورد. لا أحد يعرف الأسماء الحقيقية لمالكى الاحتياطي الفيدرالي. وكل الأسماء التي تشر وليست سوى تخمينات. ولكن على الأرجح بين أصحاب الحظ السعيد "توجد أسماء مورغان، روكفلر، بارتبوغ. أي أن الجميع من بيئة واحدة.

في تشرين الثاني 1913 اقترح نيلسون أولدريتش مشروع قانون عن النظام الاحتياطي الفيدرالي وقدم لأعضاء مجلس الشيوخ. دون الخوض في التفاصيل المضنية لذلك التصويت. أريد التنويه أن هنالك شخصاً عارض المشروع. ذلك الرجل الذي يحمل الاسم المخيف السيناتور غيلبيرت م. هيتشكوك، الذي وافق على ضرورة إنشاء منظّم مالي، اقترح فجأةً تعديلات على القانون تلغي الفكرة والهدف الذي سعى إليه أصحاب البنوك، اقترح أن يكون النظام الاحتياطي الفيدرالي حكراً على الدولة وليس قطاعاً خاصاً. في هذه الحالة تملك وزارة المالية حق إصدار النقود وإطلاقها في السوق. إلا أنه لأسباب مجهولة بالنسبة لنا رفضت تعديلات هيتشكوك وتم إقرار مشروع القانون بسرعة. وقّع الرئيس الأمريكي القانون في عام 1913 ذاته. بتعبير أدق في الأسبوع الأخير من العام⁽¹⁾.

لم يُتعب أعضاء الكونغرس أنفسهم بالتدقيق في الوقائع الاقتصادية. وقد كانوا منهمكين في الإعداد لأعياد الميلاد. أما أولئك الذين أدركوا أي انعطاف في تاريخ العالم سيحدث مرسوم الاحتياطي الفيدرالي كانوا يحاولون إقناع زملائهم في صحة القرار المتخذ. أما أصحاب البنوك فقد كانوا في غاية الرضا.

"إجمالاً، هذا القانون الشهير هو الذي سيسهم إلى حدّ كبير لكي يستقر العمل المصرفي ودورة رأس المال"⁽²⁾ - قال إدموند د. غولبيرت نائب رئيس شركة: Merchants Loan and Trust Company. "سوف يؤدي إلى دورة مرنة لرأس المال تخلصنا من تلك الاضطرابات"، - كرر ث. م. هابليستون رئيس بنك ريتشمود. البنك الوطني الأول.

"سيحدث إقرار القانون تأثيراً إيجابياً على كل الدولة، وسوف يدعم التجارة. يبدو أننا على أعتاب عصر من الازدهار الاقتصادي الشامل"⁽³⁾. - قال رئيس المصرف الوطني الأمريكي مفعماً بالتفاؤل.

¹ مات جون بيرون بعد إنجاز مشروع القرار بقليل.. مات في 31 آذار 1913 في روما. ورث إمبراطوريته ابنه... جون بيرون مورغان. يثير الاسم الواحد للأب والابن خلطاً في وصف الأحداث لدى كثير من المؤلفين - يبدو أن مؤسس الاحتياطي الفيدرالي وجد إكسبير الشباب الدائم والعمر المديد.

² New York, Senate, December 20, 1913.

³ سامون "سلطة الدولار" - <http://hardball.perm.narod.ru/biblioteka/vlasn.htm#09>.

لنتذكر كلمات خروشوف أنه في 1980 سيعيش السوفييت في الحالة الشيوعية، كانت مجرد كلمات جميلة، إلا أنه في الواقع لم يكن أحد جاداً في بناء الشيوعية في الاتحاد السوفيتي. كذلك كانت الكلمات جميلة فيما يخص إنشاء الاحتياطي الفيدرالي، ولكنها لم تكن تمت إلى الواقع بأية صلة. لقد أنشئ نظام الاحتياطي الفيدرالي لترتيب الأزمات في اللحظة اللازمة وليس لمنع حدوثها. في زمن مضى أخضعت أمريكا للأوروبيين بفضل الأسلحة النارية والصفائح المعدنية التي لم تخترقها سهام الهنود الحمر ورماحهم. بشكل مماثل حصل أصحاب البنوك في بداية القرن العشرين على الأداة التي تمكنهم من فرض هيمنتهم على هذه الأرض المباركة. بسيطرتهم على إصدار الدولار، استطاع المالكون الخفيون للاحتياطي الفيدرالي "الآلة الطابعة" أن يضعوا ويخلعوا الرؤساء. واحتكروا بشكل كامل سياسة الولايات المتحدة.

إن أفضل طريقة لإخفاء شيء ما- هو أن تضعه في مكان مكشوف تماماً. كل المعلومات عن الاحتياطي متاحة على الإطلاق. لا حاجة لأية شفرة أو كلمة سر- على الشبكة يوجد موقع رسمي للاحتياطي الفيدرالي، ويمكن زيارته ببساطة: www.federalreserve.gov. وبسهولة نجد برنامج التعليمي: www.federalreserveeducation.org. ادخلوا هناك. جدوا الإحالة من الجهة اليسرى "History" وانقروا عليها. وسوف يعرض أمامكم نص عن تاريخ إنشاء "الدكان" وحتى صور أبطاله: جي بي مورغان ونيلسون أولدريتش. ثم اضغطوا على زر "Structure"، سوف يقترح عليكم القيام برحلة افتراضية في الاحتياطي الفيدرالي. يأتي من مكبر الصوت يُذكر بمذيعي الأفلام الهوليوودية الخيالية يقرأ النص ويبدأ عرضه. انظروا، واسمعوا. يصعب أن نصدق بوجود الاحتياطي الفيدرالي. ولكنه حقيقة. عليكم ببساطة أن تحسنوا القراءة والرؤية والتحليل. تثير الجملة الثانية في الرحلة: الاحتياطي الفيدرالي خليط من العناصر الاجتماعية والخاصة.

حتى الاحتياطي الفيدرالي ذاته لا يوحي بأنه بنية حكومية!

بديهي أن لا توضح حقيقته "خليط" وهذا كل شيء. لا يكتب في أي مكان ما هي نسبة "القطاع الخاص" وما هي نسبة "القطاع الحكومي"⁽¹⁾. كل شيء بسيط ومبتذل رغم النظام المعقد. قبل إنشاء الاحتياطي الفيدرالي بزمن طويل جداً قال الشاعر الأنتيكي فيرجيل عن الأمر ذاته: "أواه أي شيء لا تدفعين الأرواح الجائعة إليه. أيتها الرغبة اللعينة بالذهب!".

لم يتغير شيء منذ ذلك الحين. والآن لنبتعد قليلاً عن ذلك. يصعب الحديث عن المواد العليا والذرة المالية في كوكبنا. إنها بعيدة، غامضة وتُذكر كثيراً بأحداث فيلم بوليسي رخيص. وهناك أشياء بسيطة ومفهومة ومعروفة للجميع. مثل الدولار "الأمريكي" الأخضر. في بداية هذا الباب بحثنا فيه بعناية واقتنعنا أنه ليس كل شيء، كما نتصور. دولار الولايات المتحدة لا يعود للولايات المتحدة. ولكن العجائب لا تنتهي هنا. سوف تقتنعون بذلك حالاً.

تعرف أوراق الدولار من الفئات التالية 1، 5، 10، 20، 50، 100 دولار. قلائل من يعرفون ورقة من فئة الدولارين وهي تعتبر تحفة نادرة، وتخرج من التداول بمجرد وقوعها في أيدي العارفين.

توجد مجموعة كاملة من أوراق النقد ذات الفئات: 500، 1000، 5000، 10000 و100000 دولار. وكثيرون لا يعرفون بوجودها لسبب وحيد بسيط: يمنع إخراجها من الولايات المتحدة وفق القانون المالي للدولة. أما الورقة من فئة 100000 دولار (الشهادة الذهبية إصدار 1934) لم تتوفر أبداً في التداول العادي واستخدمت فقط في الحسابات بين البنوك الاحتياطية الفيدرالية. رآها أفراد قلائل.

هل تعرفون صورة من على هذه الورقة النقدية؟ من هو الشخص الذي تزين صورته ورقة النقد من فئة 100000 دولار؟ ليس من الصعب أن نجيب على هذا السؤال، إذا تذكرتم أن نقود الولايات المتحدة يطبعها النظام الاحتياطي الفيدرالي وليس الدولة. لهذا النظام أبطاله، وسلمه الخاص للقيم، و"محبوبه" في "غابة" التاريخ الأمريكي المظلمة.

¹ تفصيل مثير للانتباه: في حزيران 1991، وبعد أسبوع من انتخابه لمنصب رئيس الاتحاد الروسي: ألقى يلتسين خطاباً أمام مسؤولي الاحتياطي الفيدرالي.

على البنكنوت من فئة مئة ألف دولار المتمتع بأعلى قيمة اسمية توجد صورة الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة وودرو ويلسون⁽¹⁾. ترى "آلة الطباعة" الاحتياطي الفيدرالي أن هذا الشخص هو المسؤول الأعظم في التاريخ الأمريكي! بما أن صورة وودرو ويلسون مطبوعة على البنكنوت الأعلى قيمة في التاريخ، فهو إذن، "الإنسان الأكثر إنسانية" في كل الشعوب والأزمنة. هكذا. نبدأ بدراسة الصور "العائلية" ونكتشف اكتشافات مثيرة جداً للاهتمام.

¹ <http://money.dmd.ru/description/dollars/>.